المبحث الأول : نشأة المصارف الإسلامية

تمهيد :

إن تجربة البنوك الإسلامية ليست ناتجة عن الفكر الحديث إنما هى قديمة فكرا. ففى عهد عمر بن الخطاب،كان بيت مال المسلمين يدار كبنك إسلامى، ولكن البنوك الإسلامية كتجربة تطبيقية لم تأخذ العناية الكافية، فبعد الثورة الصناعية فى أوروبا وما صاحبها من تطور اقتصادى ظهرت البنوك بالشكل المعروف حاليا، وبرغم اختلاف مجال أعمالها إلا أنها تشترك جميعا فى التعامل بالفائدة أخذا وعطاء، وقد انتقلت إلينا هذه النظم المصرفية وطبقت فى بلادنا[1]. ومع انتشار هذه البنوك والمعاملات المصرفية وفى ظل ظروف مناخية وتطورات مصرفية معاصرة بالغة التعقيد، بدأت البنوك الإسلامية تظهر من جديد مع ظهور الصحوة الإسلامية كقوة ناجحة لها تأثيرها على المستوى الدولى وعلى المستوى المحلى، وبدأت أول محاولة لتنفيذ توجيهات الله فى المؤسسات المطلوبة للمجتمع متمثلة فى بنوك الادخار بمصر سنة ١٩٦٣، أعقبتها محاولات مماثلة فى الباكستان ثم ثانية فى مصر (بنك ناصر الاجتماعى سنة ١٩٧١ ثم البنك الإسلامى للتنمية سنة ١٩٧٥) فبنك فيصل الإسلامى السودانى سنة ١٩٧٧)، فبيت التمويل الكويتى سنة١٩٧٧، ثم بنك فيصل الإسلامى المصرى سنة ١٩٧٧، والبنك الإسلامى الأردنى للتمويل والاستثمار (١٩٧٨). ثم أعقب ذلك صحوة كبيرة وانتشار جديد للمصارف الإسلامية حتى أن بعض الحكومات الإسلامية قد أسلمت النظام المصرفى، وهى باكستان، إيران وأخيراً السودان.

وفى مصر توجد حاليا أربعة بنوك إسلامية هى: بنك ناصر الاجتماعى ، بنك فيصل الإسلامى المصرى، والمصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية، وبيت التمويل المصرى السعودى. وقد أدركت كثير من البنوك التقليدية فى الدول الإسلامية حجم الطلب الكبير والمتزايد على التعامل وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية فقامت بإنشاء فروع لها يقتصر التعامل فيها وفقا لنظم البنوك الإسلامية فقد ظهرت فى مصر فروع المعاملات الإسلامية للبنوك التقليدية وهى : بنك مصر فروع المعاملات الإسلامية، بنك قناة السويس، بنك التجاريين، بنك المهندسين، البنك الوطنى المصرى. بنك النيل، بنك التنمية والائتمان الزراعى لفروع المعاملات الإسلامية، البنك المصرفى الخليجى، بنك الجيزة الوطنى، بنك الدقهلية الوطنى، بنك الشرق الأوسط وهذا وقد وصل إجمالى فروع المعاملات الإسلامية للبنوك التقليدية فى مصر نحو ٦٥ فرعاً.

أولا: الدوافع إلى إنشاء البنوك الإسلامية: وتكمن هذه الدوافع فى الآتى:

١- التأثر بتوجيهات الدعاة المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية لإقامة نظام اقتصادى واجتماعى يلتزم بقواعد الشريعة الإسلامية وباجتهادات الفقهاء المسلمين، وبربط حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها بأسسها الحضارية.

٢- الاستقرار على اعتبار فوائد البنوك من الربا الذى حرمته الشريعة ونهت عنه، بعد تردد من بعض مفكرى الإسلام لرغبتهم فى تبرير الأمر الواقع والنزول على مطالب الحضارة الغربية. ومن ذلك محاولة بعضهم التفريق بين القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية لإباحة الربا فى القروض الإنتاجية دون القروض الاستهلاكية. وقد أراد بعضهم قصر الربا على الأحوال التى ترتفع فيها أسعار الفائدة، على أساس أنها هى التى تحقق فيها الظلم، ولكن هذا المنهج التبريرى لا تستند لأصل يؤيده، فقد أطلق الشارع تحريم الربا وأوجب الانتهاء عن التعامل به. فقال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾(٢).

ولقد انتهى علماء المسلمين فى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذى عقد بالقاهرة سنة ١٩٦٥ إلى أن الفائدة على أنواع القروض كلها ربا حرام لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى، وانتهوا أيضا إلى أن أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية من المعاملات الجائزة، بحيث لايعد من الربا ما يؤخذ فى مقابلها. أما الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع القروض نظير فائدة فكلها من المعاملات الربوية المحرمة. ولاشك أن هذه القرارات أثرت بشكل واضح فى دفع مسيرة إنشاء البنوك الإسلامية.

٣- تجميع الجهود للمشاركة فى إحياء النهضة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية التى بدأتها الشعوب الإسلامية بعد حصولها على استقلالها السياسى وطرد المستعمر الغربى. ذلك أن نسبة كبيرة من أبناء هذه الشعوب تفضل عدم التعامل مع البنوك التقليدية لتجنب الوقوع فى الربا. وتقدر إحدى الدراسات أن هناك ما يقرب من أربعين مليارا من الدولارات معطلة فى منطقة الشرق الأوسط وحدها حيث يمسكها

أصحابها فى بيوتهم ولايتعاملون بها فى أى نشاط استثمارى ولايودعونها البنوك القائمة، وتتطلع الحكومات الإسلامية إلى جذب هذه المدخرات وإشراكها فى أعباء التنمية.

- ولهذه العوامل اتجهت الجهود إلى إنشاء البنوك الإسلامية(٣).